مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 04، ديسمبر2022، صص:23 - 42

تاريخ الاستلام(2022/05/20)تاريخ القبول (2022/09/24)تاريخ النشر (2022/12/30)

ملامح الحجاج في ردِّ التَّفتازاني على الزَّمخشري (الرابط الحجاجي للأداة (لأنَّ) نموذجاً)

Argumentative Characteristics in Taftazani's Answer on El Zamakhechari : An Argumentative Linker '(لأنَّ)' as a Sample

سمر السّليمان[1]، وليد السراقيبي[2]

1 جامعة حماة(سوريا)، samarslima81@gmail.com

2جامعة حماة (سوريا)، wsarakibi@gmail.com

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى التَّعرُّفَ على مقوّماتِ الحِجاجِ في ردِّ التَّفتازاني على الزَّمخشريّ في كتابِه (الكشَّافِ)، فقد اضطلعَ باستثمارِ علومِ اللُّغةِ والكلامِ والتَّفسيرِ والقراءاتِ في أثناءِ إبطالِه آراءَ الزَّمخشريّ وتبيانِ الخللِ المنهجيّ في كتابِه، فلم يترُكْ مسلكاً من مسالكِ الحِجاجِ إلَّا وسلَكَه، فأثبتَ صحَّةَ بعضِ آرائِه، ودحضَ آراءً أخرى على النَّقيضِ من رأيِه، وقد وقعَ الاختيارُ في هذا البحثِ على الرَّابطِ الحِجاجيّ لـ (أنَّ) نموذجاً، سعياً إلى تلمُّسِ معالم فكرِ التَّفتازاني وطريقةَ إقناعِه القارئَ بصحةِ رأيِه وتفنيدِ رأيِ خصومِه.

كلمات مفتاحية: الحجاج؛ التَّفتازاني؛ الزَّمخشريّ؛ الرابط الحجاجي؛ (لأنَّ).

Summary:

This research aims at defining principles of pretexts in al- Taftazani,s reply to AL-Zamakhshari in his book " al- Kashshaf " He had been working hard to use Linguistics , speeches / interpretation and Qur,an readings during his attempts to counteract AL-Zamakhshari ,s opinions and to show the problems of his methodology. So al- Taftazani used all the methods and devices of pretext. So he proved that AL-Zamakhshari ,s is right in some places and he refused others of his opinions. I decided to choose in this research the pretext device: " li anna " as an example. The aim of this choice is to track the features of al- Taftazani,s knowledge and his way of convincing the reader of the accuracy of his own opinions and the in accuracy of the opinions of his opponents.

المؤلف المرسل: سمر السّليمان، الإيميل: samarslima81@gmail.com

Keywords: al- Taftazani; al- Kashshaf; AL-Zamakhshari; Qur,an; the pretext device: "li anna".

1 .مقدمة:

لعلَّ من البديهي القول إنَّ المتونَ سابقةٌ للشروحِ والحواشي والتقريرات، فهذه كلُّها آثارٌ للمتونِ وعملٌ عليها، فمع تقادمِ الزَّمنِ واتّساعِ العلومِ، وتعدُّدِ المعارفِ ضعفت الملكاتُ العلميةُ، وصارت المتونُ كتباً مدرسيةً مقررةً، فاشتدت الحاجةُ إلى شرحها وتفسيرها.

وأمر آخر، هو العزوف عن التَّأليف والتَّجديد بدعوى أنَّ الأول لم ترك شيئاً للآخر، وتُعَدُّ طريقةُ الحواشي من الطّرقِ الإبداعية المبتكَرة التي ظهرت في التاريخ العلمي الإسلامي.

فالمتنُ: مصطلحٌ يُطلَق عند أهل العلم يدل على مبادئ فن من الفنون خاليةٍ من الاستطرادِ والتَّفصيلِ.

أما الشَّرحُ: فهو عمل يُتوخى فيه توضيح ما غمض من المتون، وتفصيل ما أُجمل منها ويتراوح بين الطول والقصر والسهولة والعسر، وفيه الوجيز والوسيط والبسيط.

وأما الحواشي: فهي إيضاحات مطولة دعت إليها ظاهرة انتشار المتون والشروح، وقد قصد منها حل ما يُسْتَغْلَقُ من الشَّرحِ، واستدراك ما يفوته، والتنبيه على الخطأ والإضافة النافعة وزيادة الأمثلة والشواهد.

وممن اهتمَّ بالحواشي والشروح العلامة الكبير التفتازاني، وكانت حاشيته على كتاب الكشاف للزمخشري من أهم تأليفاته، لشدة ما لاق من اهتمام عند الباحثين في هذا الكتاب، واتجاههم إلى دراسته يكشفون الحجب عن أسراره، والسَّدف1 عن أنواره، فقرر أن يدخل في زمرتهم يستكشف خفايا الكشَّافِ وخباياه، ويدأب في سبيل ذلك ركاب الطَّلب ومطاياه، ثمَّ طفق يبذل للطَّالبين ما صادف من مخزون فقره، ونثر على الرَّاغبين ما حصل من مكنون درره2.

يصف السعد في حاشيته ردَّة الفعلِ لدى هؤلاء الطَّالبين والرَّاغبين، فيقول: « وكانوا كلَّما رجعوا إليَّ، وسمعوا ما لديَّ أفاضوا في الاستغراب، وقالوا إنَّ هذا الشَّيء عجاب، ما سمعنا به في الأوَّلين والأقدَمين، ولا حام حوله المهرة من المتقنين، وطلبوا منِّي أن أثبت ما ثبت عندي، وأقرِّر لهم ما تقرَّر في يدي ممَّا سمعت من كبار الأفاضل، أو التقطت من كلام الأوائل، أو سمح به الخاطر الفاتر، أو سنح للنَّظر القاصر حين كان الرَّأي وَلودا، والفكر عمولا، والتأمُّل قطوفاً وصولا، زعموا أنِّي كأنِّي أُحدِث في هذا الكتاب من الحقائق الجلائل والدَّقائق ما لم يجمعه أحد من الخلائق، وإنَّ الخوض فيه على فرض العين، ووضعوا بعض ما كتبت على الرَّأس والعين»3.

فيذكر أنَّهم كرَّروا كلمتهم وردَّدوا، وألحُّوا في طلبهم وأكَّدوا بحيث لم يبقَ إلى الممانعة مهيع4، ولا في قوس المدافعة منزع.

وحينئذٍ يقرّر وضع الكتاب فيقول: « فصرفت الهمَّة والعزيمة، وأحكمت النِّيَّة والصَّريمة وحلَلْت من الفكر بملتقى طرقه، ومن النَّظر بمجتمع فرقه، ثم أخذت في نثر فرائده المخزونة ونشر فوائده المكنونة، وبحت برموزه التي كانت عن الأنظار خفيَّة، وسمحت بكنوزه التي كانت مدى الأعصار خبيَّة، بحيث ينشد ضالَّته كلُّ طالب عارف، ويعثر على دالَّته كلُّ ناظر واصف5.

الزمخشري وكتابُهُ الكشَّاف:

الزَّمخشري: عينٌ على حياتِهِ وآثارِهِ:

الزَّمَخْشَرِيُّ أَبُو القَاسِمِ مَحْمُوْدُ بنُ عُمَرَ بنِ مُحَمَّدٍ الخوارزميّ الزّمخشريّ، ولدَ سنةَ سبعٍ وستّين وأربعمئة بـ (زمخشرَ)، وهي قريةٌ كبيرةٌ من قرى خُوَارِزمَ، كان الزّمخشريّ حنفيّ المذهبِ معتزليّ الاعتقادِ، وكان شغوفاً بطلبِ العلمِ والمعرفةِ.6

- تركَ الزَّمخشريُّ آثاراً علميَّةً متنوّعةَ المشارِبِ، أذكر منها:

1_ في النحو:

* المفصل: طبع في القاهرة سنة 1323هـ، وأعيد طبعه غير مرة7.

* نكت الأعراب في غريب إعراب القرآن: وهو مخطوط8.

* ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: طبع في بغداد سنة 1976م .

2- في التفسير:

* الكشاف: وهو مَجْلى ثقافته الاعتزالية، وسأخصه بوقفة منفردة بعد قليل.

* المنهاج في أصول الدين: مخطوط9.

3- في الحديث:

- الفائق في غريب الحديث: طبع في حيدر آباد سنة 1324هـ10.

4- في الأمثال:

- المستقصى في الأمثال: طبع في حيدر آباد سنة 1962م، وفي بيروت (دار الكتب العلمية) بجزأين سنة 1987م11.

5- في الأدب:

* نوابغ الكلم: مجموعة حكم وأقوال، طبع في القاهرة وبيروت سنة 1286هـ12.

* أطواق الذهب: طبع في دمشق وبيروت والقاهرة13.

* أعجب العجب في شرح لامية العرب، وهو مطبوع14.

6- في اللغة:

*أساس البلاغة: وهو مجلدين مطبوع بمصر.15

(الكشّافُ عن حقائقِ التّنزيلِ وعيونِ الأقاويلِ في وجوهِ التّأويلِ):

كتابٌ في تفسيرِ القرآنِ الكريمِ، عُنِيَ فيه مؤلّفُه بإبرازِ مواطن البلاغةِ في الآياتِ القرآنيّةِ الكريمةِ، وتوضيحِ دقائقِ الأسرارِ ولطائفِ المعاني ومحاسنِ النّكتِ الّتي ينطوي عليه النّظمُ القرآنيُّ العظيمُ، وبها يدركُ وجهُ الإعجازِ فيه.

والكشّافُ موسوعةٌ حافلةٌ بموضوعاتٍ كثيرةٍ في الاعتزالِ واللّغةِ والنّحْوِ والأدبِ والفقهِ والقراءاتِ. ولقد كان للكشّافِ دويٌّ هائلٌ منذ ألّفَه صاحبُه، وطار صيتُه في شرقِ العالمِ الإسلاميِّ وغربِه، إذ إنَّه كما يقولُ ابنُ خلِّكان في كتابِه (وَفَيَات الأعيان) :"لم يصنّف قبله مثله".16

التفتازاني:

اسمُه: اتفقت كتب التراجم على أنَّه مسعودُ بنُ عبدِ اللهِ التّفتازانيّ، وخالفَ ابنُ حجرِ العسقلانيّ في كتابه:(الدّررُ الكامنةُ) من أنّ اسمَه محمود في ذلك.

نسبُه: يلقّب العلّامة التّفتازانيّ بسعدِ الدّينِ، والتّفتازانيّ نسبةً إلى القريةِ الّتي ولدَ فيها، وهي قريةُ (تفتازان) تقعُ بنواحي (نَسَا) من بلادِ خراسانَ.

مولُدُه: توردُ كتبُ التّراجمِ تاريخَينِ مختلفَينِ لمولِدِه:

الأوّل: أنّه وُلِدَ عام(712هـ)، وهذا ما ذكرَه ابنُ حَجَرٍ العسقلاني في كتابه (الدّررُ الكامنةُ)17.

الثّاني: أنّه وُلِدَ سنةَ (722هـ) وفيما يبدو أنّ هذا التّاريخ هو الأرجحُ فقد جاءَ في كثيرٍ من كتبِ التّراجمِ أنّ سعدَ الدّينِ التّفتازانيّ ألّف أوّلَ كتابٍ وهو(شرحُ التّصريفِ) للزّنجانيِّ وعمرُه ستّ عشرةَ سنةً، وكان ذلك سنةَ (738هـ)، وذكرَ محمّد باقرُ الموسويّ الخُوانساريّ في كتابه (روضاتُ الجناتِ في أحوالِ العلماءِ والسّاداتِ) أنّ سعدَ الدّينِ شرعَ في تأليفِ شرحه على التّلخيصِ في أواسطِ (742هـ) وكان عمرُه عشرين سنةً، وهذا يؤّيدُ أنّ مولدَه سنة (722هـ).18

مكانتُه العلميّةُ:

في معظمِ الكتبِ الّتي ترجمَت للتّفتازانيّ جاءَ وصفُه بالعلّامة، وهي صفة تدلّ على براعتِه في العلوم كافة, كالنّحْو والصّرْف والمعاني والبيانِ والفقهِ والتّفسيرِ والمنطقِ وغيرِها من العلومِ، وتقدّمَ في معظمِ الفنونِ، واشْتُهِرَ ذِكْرُه، وذاعَ صيتُه، وانتفعَ النّاسُ بتصانيفِه، وإليه انتهت معرفةُ العلومِ بالمشرقِ.

آثاره:

ذَكَرَت له المصادرُ مؤلّفاتٍ كثيرةً، أذكر منها:

1- في النحو:

*الإرشاد، أو إرشاد الهادي: أتمَّه التفتازاني بـ(خوارزم) سنة 774هـ19.

*الإصباح في شرح ديباجة المصباح20.

2- في الصرف:

*شرح تصريف الزنجاني: وهو شرح على مختصر العلامة عز الدين عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني في فن الصرف21.

3- في التفسير:

*حاشيته على الكشاف للزمخشري: وقد توفي قبل إتمامها22.

*كشف الأسرار وعدة الأبرار: هو تفسير للقرآن الكريم باللغة الفارسية23.

4- في الحديث:

*شرح الأربعين للنووي24.

5- في البلاغة:

*المطول على التلخيص: وهو الاسم الغالب على شرحه الكبير لتلخيص المفتاح للقزويني25.

*المختصر على التلخيص، أو مختصر المعاني: وقد فرغ منه سنة 756هـ26.

*شرح القسم الثالث من المفتاح: وهو من المؤلفات التي كتبها التفتازاني آخر عهده27.

6- في أصول الفقه:

*حاشية شرح مختصر الأصول: هو شرح على شرح عضد الدين الأيجي لمختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب28.

وفاته:

ذَكَرَت كتبُ التّراجمِ أنّه توفّي سنةَ(792هـ) عن سبعينَ سنةً، وذكر هذا التّاريخَ كذلك : البغداديُّ في(هديّة العارفين)، والشّوكانيُّ في(البدر الطّالع) والكفويُّ في (كتائب أعلام الأخيار)29.

الحجاج: يعدُّ الحِجاجُ من النَّظرياتِ المهمَّةِ التي تهتمُّ بها التَّداوليَّةُ، وهو يرتكز على دراسةِ الطَّريقةِ والأسلوبِ اللذَينِ يتبنَّاهما المتكلمُ للتَّغييرِ في معتقداتِ المتلقّي وإقناعِهِ بما يريدُ إيصالَه إليه.

والحجاجُ لغةً: جاء لفظ الحجاجِ لغةً بمعانٍ مختلفةٍ، فقد جاء في معجم العين: والحُجَّةُ: وجهُ الظَّفرِ عندَ الخصومةِ، والفِعلُ حاجَجْتُه، فَحَجَجْتُه، واحتَجَجْتُ عليه بكذا30 .

وقال الأزهريُّ: الحُجَّةُ الوجهُ الذي يكونُ به الظَّفَرُ عندَ الخصومةِ، وهو رجلٌ مِحْجَاجٌ، أي جدِلٌ، والتَّحاجُّ: التَّخاصُمُ، وجمعُ الحُجَّةِ حُجَجٌ وحِجاجٌ...31

والحِجاجُ عندَ ابنِ فارسٍ (ت 395هـ) يتَّخذُ معنى النِّزاعِ والخصامِ عند المحاجَّةِ، بقصدِ الظَّفرِ بالغلَبَةِ32، وهو عينُ ما ذهبَ إليه الزَّمخشريُّ(ت 538هـ) قولُه: " احتجَّ على قومه بِحُجَّةٍ شهباءَ، وبِحُجَجٍ شُهْبٍ، وحاجَّه خصمُه فهو محجوجٌ33 .

ووردَ في لسانِ العربِ بمعنى التَّخاصمِ، أي إتيان الشخص بحجةٍ يثبتُ بها رأيَهُ، يقولُ ابنُ منظور: " والحُجَّةُ: البرهانُ، وقيلَ الحجَّةُ ما دوفِعَ به الخصم"34.

وعرَّف الكفويُّ الحُجَّةَ فقالَ: الحُجَّةُ بالضمِّ: البرهانُ، وما ثبتَ به الدَّعوى من حيثُ إفادتِهِ للبيانِ يسمَّى بيّنَةً، ومن حيثُ الغَلَبةِ به على الخصمِ يسمَّى حُجَّةً.35

ووردَ لفظُ الحِجاجِ في القرآنِ الكريمِ بدلالاتٍ مختلفةٍ، مثل الجدلِ والمخاصمةِ والحوارِ في عدةِ مواضعَ، منها قولُه تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (آل عمران 65)، وقوله: { ... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (النساء 165).

الحجاجُ اصطلاحاً:

لقد اختلفَ مفهومُ الحِجاجِ حسبَ الوظيفةِ التي يؤدّيها طرفا الخطابِ(المتكلّمُ – السَّامعُ)، حيثُ نجدُ صابرَ الحباشة يعرّفُ الحِجاجَ في كتابِهِ – التَّداوليَّةُ والحجاجُ- أنَّه: طريقةُ عرضِ الحججِ وتقديمِها، فهو يستهدفُ التَّأثيرَ في السَّامعِ، فيكون بذلك الخطابُ ناجحاً وفعَّالاً36.

والحجاجُ من جهةِ أنَّه قضيةٌ مهمَّة من قضايا الدَّرسِ التَّداوليّ الحديثِ والمعاصرِ هو العلمُ الذي (يدرسُ أشكالَ ووسائلَ التَّأثيرِ في المتلقّي التي في إطارِ النَّصّ اللُّغويّ، أو في الإطارِ السّيميائيّ العامّ، بهدفِ الإقناعِ بفكرةٍ ما، أو الدّفاعِ عن فكرةٍ ما، أو الهجومِ على فكرةٍ ما، للوصولِ إلى الإقناعِ والإقحامِ)37.

أما أبو بكرٍ العزاويّ فيقولُ: " الحِجاجُ هو تقديمُ الحُجَجِ والأدلَّةِ المؤدّيةِ إلى نتيجةٍ معيَّنةٍ، وهو يتمثَّلُ في إنجازِ تسلسلاتٍ استنتاجيَّةٍ داخلَ الخطابِ، وبعبارةٍ أخرى يتمثلُ الحجاجُ في إنجازِ متوالياتٍ من الأقوالِ بعضُها بمثابةِ الحججِ اللُّغويةِ، وبعضُها بمثابةِ النَّتائجِ التي تُستَنتَجُ منها، فبمجرَّدِ ربطِ الحِجاجِ بالخطابِ نفترضُ مرسِلا ومتلقّياً، وهدفُ الحِجاجِ هنا وغرضُه التَّأثيرُ في المتلقي عن طريقِ الإقناعِ أو الإفهامِ"38.

غيرَ أنَّ طه عبد الرحمن لا يُقِرُّ بفصلِ الحِجاجِ عن الخطابِ، فليس هناك خطابٌ حجاجيٌّ وآخرُ غيرُ حجاجيٍّ، إذ يقول بقاعدةٍ مفادُها أنَّ لا خطابَ بدونِ حجاجٍ.39

ومن كل ما تقدم يتبين أنَّ الحجاج هو قضية أو نسق من القضايا التي تُقدَّم لصحة قضية أخرى، وهو عبارة عن فعلٍ تكلُّميّ لغويّ مركَّبٍ، أو مؤلَّفٍ من أفعالٍ تكلُّميَّةٍ فرعيَّةٍ، وموجَّه إلى إثبات أو إبطال دعوى معينة40.

أنواعُ الحجاجِ

لقد اختلفَ الباحثونَ في تحديدِ أنواعِ الحِجاج وذلك راجعٌ إلى اختلافِهم في وجهاتِ النَّظرِ فيما يخص الحجاج، فهناك تقسيمٌ يقومُ على النَّظرِ في العمليَّةِ الحجاجيةِ وعناصرِها، وهذا ما نجدُه عندَ طه عبد الرحمن الذي يضعُ ثلاثةَ نماذج للحجاجِ هي: النَّموذجُ الوصليُّ، والنَّموذجُ الإيصاليُّ، والنَّموذجُ الاتِّصاليُّ41

أما النَّموذجُ الوصليُّ فهو : يجردُ الحجاجَ من الفعاليَّةِ الخَطابيةِ بمحوِ آثارِ المتكلمِ بإظهارِ المضمراتِ الخَطابيةِ مع الجمودِ على الخصائصِ التَّرتيبيَّة والصُّوريَّةِ للحجاجِ مستنِداً في ذلك إلى نظريَّةِ الإعلامِ فتكون نتيجةُ التجريدِ تحويلَ الحِجاجِ إلى بنيةٍ حاليَّةٍ مجردةٍ، فهذا النَّموذجُ أو هذا الحِجاجُ يركِّزُ الاهتمامَ على إيصالِ الخطابِ إلى المُتلقّي وطرقِ إقناعِه دونَ الاهتمامِ بالأطرافِ الأخرى، وبذلك يكونُ الحجاجُ مجردَ بنيةٍ دالَّة42.

النَّموذجُ الثَّاني "النَّموذجُ الإيصاليُّ وهو الذي يشتغلُ بدورِ المتكلِّمِ في الفعاليَّةِ الخَطابيةِ حيثُ يركِّزُ على القصديةِ من جهةِ ارتباطِها باللُّغةِ ومن جهةِ تكوُّنِها من طبقاتٍ قصديَّةٍ متفاوتةٍ مستنداً في ذلك إلى نظريةِ الأفعالِ اللُّغويَّةِ، فتكون نتيجةُ هذا الاشتغالِ الواقفِ عندَ المتكلِّمِ جعلَ الحِجاجِ بنيةً دلاليَّةً موجَّهةً، ويكونُ الحِجاجُ هنا مركّزاً على المتكلمِ ودورِهِ في العمليَّةِ الحِجاجيةِ، ويهتمُّ بمقاصدِه وما يوفِّرُه من طرقٍ إقناعيَّةٍ، فيكون الحجاجُ بذلك بنيةً دلاليَّةً موجَّهةً"43.

أما النَّموذجُ الثَّالثُ وهو "النَّموذجُ الاتصاليُّ فيجمعُ النَّموذجينِ السَّابقينِ اللذَينِ وَقَفا على العمليةِ الحِجاجيةِ دونَ الغوصِ فيها, فهو يشتغلُ بدورِ المتكلِّمِ والمستمعِ معاً في الفعاليَّةِ الخطابيةِ حيثُ يركزُ على التَّفاعلِ الخطابيّ مبرزاً أهميةَ التزاوجِ القصديّ والوظيفيّ والسياقيّ ودورِ الممارسةِ الحيَّةِ التي تنبني على الأخذِ بالمعاني المجازيةِ والقيمِ الأخلاقيَّةِ مستنداً في ذلك إلى نظريَّةِ الحوارِ مع تطويرِها، وهذا ما يساهمُ في إحياءِ الحجاجِ وجعلِه بنيةً تداوليةً يجتمعُ فيها التوجيهُ المقترِنُ بالأفعالِ والتقويمِ المقترنِ بالأخلاقِ44.

أما التَّصنيفُ الثَّاني فيقسمُ الحِجاجَ إلى حجاجٍ تقويميّ وحجاجٍ توجيهيّ، أما الحجاجُ التقويميُّ فيقومُ على مراعاةِ المتكلمِ في خطابِه الحجاجيّ لشيئين هما : الهدفُ المرادُ تحقيقه (الإقناعُ) والحججُ التي يمكن أن يعارضَه بها المخاطَبُ ويضعَها في الحسبانِ في أثناءِ خطابِه، حيثُ يستحضرُها في حُجَجِه ويقومُ بتفنيدُها بحججٍ معارضةٍ قبلَ أن يطرحَها عليه المخاطَبُ.45

إنَّ هذا الصِّنفَ من الحجاجِ يضعُ في حسابِه _ كما أسلفنا الذِّكرَ _ الحججَ التي يمكنُ أن يعارضَه بها المتلقّي فيحاولُ تفنيدَها بالحججِ التي يتضمنُها خطابُه، وبهذا يكونُ الحجاجُ حجاجاً

تقويميًّاً أي أنَّ المخاطَبَ يقوِّمُ المخاطِبَ ويضعُ حججَه في الحسبانِ، وعلى ذلك التقويمِ يقومُ بتفنيدِ الحُججِ المتوقَّعَةِ من المتلقِّي، وبذلك يصلُ المخاطِبُ إلى هدفِه المنشودِ وهو إقناعُ المخاطَبِ.

أمَّا فيما يخصُّ الحجاجَ التوجيهيَّ فيقصد به إقامَة الدَّليل على الدَّعوةِ بناءً على فعل التوجيهِ الذي يستدلُّ به المستدلُّ، مع العلمِ أنَّ التَّوجيهَ المقصودَ هنا هو فعلُ إيصالِ المستدلِّ لحجَّتِهِ إلى الغيرِ، وبهذا نكونُ أمامَ حجاجٍ يهتمُّ بالحجاجِ من طرفِ المتكلِّمِ، وكيفيَّةِ توجيهِهِ، وإيصالِ الحُججِ إلى المخاطَبِ دونَ الاهتمامِ بتلقي المخاطَبِ لها ولردِّ

فعلِه عليها، أي إنَّ هذا النَّوعَ من الحِجاجِ يركزُ على صدقِ فاعليَّةِ الحِجاجِ من طرفِ المتكلِّمِ فقط46 .

و هناك تقسيمٌ ثالثٌ يجعلُ من مجالِ الدراسةِ موجهاً لنوعِ الحجاجِ حيثُ نجدُ ثلاثَةَ أنواعٍ للحجاجِ في هذا التَّقسيمِ وهي :

أ- الحِجاجُ الفلسفيُّ : الذي يتَّخذُ من الفلسفةِ بُعداً من أبعادِهِ وآليةً من آليّاتِهِ حيثُ تُقاسُ نجاعتُه بمعاييرَ خارجيةٍ كالقوةِ أو الضَّعفِ والنَّجاحِ أو الفشلِ في الإقناعِ ويكونُ هدفُه التأثيرَ والتقبلَ، فهذا النوعُ من الحجاجِ يعتمدُ أساساً على الفلسفةِ وإجراءاتِها كوسائلَ تهدفُ إلى إقناعِ المتلقي والتأثيرِ فيه 47

ب- الحِجاجُ التَّداوليُّ : وهو حِجاجٌ قائِمٌ على الاستعمالِ والتَّداولِ، وهو يركِّزُ اهتمامَهُ في العمليَّةِ الحِجاجيَّةِ فمن خلالِ التَّداولِ يصلُ إلى تحقيقِ أهدافِه التَّواصليَّةِ والإقناعيَّةِ، إذ إنَّ لفظَ التَّداوليةِ يبعثُ على استحضارِ نظريَّةِ أفعالِ الكلامِ في الخِطابِ ورصدِها فيه بغرضِ إقناعِ المخاطَبِ بالرَّغمِ من اختلافِ الأبعادِ التَّداوليَّةِ التي تسمحُ بتوجيهِ الخِطابِ الحِجاجيِّ والإجابةِ على الإشكاليَّاتِ والتَّساؤلاتِ التي تحيطُ بالعمليَّةِ التَّخاطبيَّةِ الحِجاجيَّةِ 48

ج- الحِجاجُ البلاغيُّ : وهو الحِجاجُ الذي يجعلُ من البلاغةِ آليَّةً من آليَّاتِهِ، وذلك لاعتمادِها علَّةَ التَّأثيرِ والاستمالةِ بوساطةِ الحجاجِ بالصورةِ البيانيَّةِ والأساليبِ الجماليَّةِ من أجلِ إقناعِ المتلقِّي، فالبلاغةُ في هذا النَّوعِ تكونُ المجالَ الذي يستقي منه الحِجاجُ وسائلَه وآلياتِه وذلك في سبيلِ إقناعِ المتلقِّي والتَّأثيرِ فيه. 49

تِقنياتُ الحِجـاجِ وآليَّاتُه :

قسَّمَ بيرلمان تقنياتِ الحِجاجِ إلى فئتين، هذا التَّقسيمُ يخصُّ تقنيَّاتِ الحجاجِ اللُّغويَّةَ متمثِّلَةً في تقنيَّةِ طرقِ الوصلِ وتقنيَّاتِ طرقِ الفصلِ "و يقصدُ بالأولى ما يتمُّ به فهمُ الخططِ التي تُقرِّبُ بين العناصرِ المتباعدةِ في الأصلِ لتمنحَ فرصةَ توحيدِها من أجلِ تنظيمِها، وكذلك تقويمِ شكلٍ منها بواسطةِ الأخرى سلباً وإيجاباً، وتقنياتُ الفصلِ هي التي تكونُ غاياتُها توزيعَ العناصرِ التي

تعدُّ كلًّا واحداً أو على الأقلّ مجموعةً مُتَّحدةً ضمن بعض الأنظمة الفكريَّة أو فصلها أو تفكيكها"50

و يمكنُ تقسيمُ تقنياتِ الحجاجِ إلى :

1-" الأدواتِ اللُّغويةِ الصِّرفةِ : مثلِ ألفاظِ التَّعليلِ بما فيها الوصلُ النِّسبيُّ والتَّركيبُ الشَّرطيُّ وكذلك الأفعالُ اللغويةُ والحِجاجُ بالتبادلِ والوصفِ وتحصيلِ الحاصلِ.

2- الآلياتِ البلاغيَّةِ : مثلُ تقسيمِ الكلِّ إلى أجزاء والاستعارةِ والبديعِ والتَّمثيلِ.

3- الآلياتِ شبهِ المنطقيَّةِ : ويجسدُها السُّلَّمُ الحجاجيُّ بأدواتِه وآليَّاتِه اللُّغويةِ ويندرجُ ضمنَه كثيرٌ منها مثلُ الرَّوابطِ الحجاجيَّةِ : لكن، حتى، فضلاً عن، ليس، كذا، فحسب، أدواتِ التوكيدِ ودرجاتِ التَّوكيدِ وبعضِ الآلياتِ التي منها : الصيغُ الصَّرفيَّةُ مثلُ: التَّعديةِ بأفعالِ التَّفضيلِ والقياسِ وصيغِ المبالغةِ. "

لأنَّ أنموذجاً

تُعَدُّ اللام الجارة الدالة على التعليل المقترنة بـ {أنَّ} التوكيدية (لأنَّ) من بينِ الرَّوابطِ الحِجاجيَّةِ المدرجة للحجج، ولها دورٌ مهمٌّ في الرَّبطِ بينَ النَّتيجةِ والحُجَّةِ، وما يدعمُها أو ما يثبتُها، ونلاحظُ أنَّها تظهرُ بصورةٍ جليةٍ عندَ التَّفتازانيِّ في حاشيتِهِ على الكشَّافِ للزَّمخشريِّ, وسأحاولُ رصدَها وتبيينَ موقعِها وكيفيةَ عملها وأثرَها في إبرازِ الحججِ والرَّبطِ بينَها.

وسببُ اختياري هذا الرَّابط الحجاجيَّ هو التعرفُ على أسلوبِ التفتازانيِّ ومنهجِه في الرَّدِّ على الكشَّافِ، ودحضِ آراءِ صاحبِه الزَّمخشريِّ بطريقةِ الجدلِ والإقناعِ.

- جاء في تفسير الزمخشري: (سَوْأَةَ أَخِيهِ عورةُ أخيه وما لا يجوز أن ينكشفَ من جسدِه)51 في تفسيرِ قوله تعالى: { إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (المائدة 27)، فقد ذهب الزمخشري إلى أنَّ (من) بيانية فأبطل التفتازاني ذلك فقال: إنَّها تبعيضيَّةٌ مورداً بعضَ الأدلَّةِ على صحةِ كلامِه، وشارحاً معنى العبارةِ بقولِه: « تبعيضيةٌ أو ابتدائيَّةٌ لا بيانيَّةٌ لأن ما لا يجوزُ أن ينكشفَ ليس هو الجسدَ، وكُنِّيَ بها أي بالسَّوءَةِ عنها أي عن العورةِ لِمَا في كشفِها من القُبحِ، وفسَّرَ السَّوءَةَ والسَّوآءَ بالفضيحةِ العظيمة لكونِها من قبيلِ لَيْلَةٌ لَيْلاءُ52»53، وعضد قوله هذا بقول الشاعر لزيادةِ توضيحِ وإثباتِ رأيهِ، مفسِّراً بالرابطِ لأنَّ، والدليلُ هو قولُ الشاعرِ أبي زبيد54:[الخفيف]

ظَلَّ ضَيْفاً أَخُوكُـمُ لأَخِينـا **** فِي شَرابٍ، ونَعْمةٍ، وشِواءِ55

لَمْ يَهَبْ حُرْمةَ النَّدِيمِ، وحُقَّتْ **** يَا لَقَـوْمِ، للسَّـوْأَةِ السَّوْآءِ

السَّيِّئَةُ: الخَطيئَةُ بمعنى الإجلالِ والمخافةِ، أي لم يعظم حرمته، وحُقَّت تلك الحرمةُ بأن يهاب ويرعى ثم دعا قومَه ليعجبَهم من النَّظرِ إلى هذه الفضيحةِ التي هي هتكُ حرمةِ النَّديمِ، وما

يُقالُ إنَّ معنى قولِه فكُنِّيَ بها عنها كنّى الشاعر بالسَّوءَةِ السَّوآءِ عن الفضيحةِ العظيمةِ كلامٌ لا حاصلَ له.

فقامَ بتوظيفِ الرَّابطِ لأنَّ إذْ كانت وظيفتُه الرَّبطَ بينَ النَّتيجةِ "أنَّ من تبعيضية"، والحجةِ التي أوردَها لإثباتِ أنَّ من بيانيةٌ وليست تبعيضيةً، حين شرحَ وفسَّرَ معاني كلماتِ الآيةِ مورداً دليلاً شعريَّاً لزيادةِ توضيحِ حجتهِ وإثباتِها.

وذكرَ "لأنَّ" في موضعٍ آخرَ، فنجده تحدَّث عن العاملِ في المفعولِ معه في قولِ الزمخشريّ: « ويجوزُ أن يكونَ الواو في: (ومِثْلَهُ) بمعنى "مع"»56 في تفسير قوله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ} (المائدة 36) فقد خالفَ الزَّمخشري في هذا العاملِ فالأخيرُ يرى أنَّ العاملَ في المفعولِ معَه هو فعلٌ مقدّرٌ تقديرُه ثبت، فيقولُ: « فإن قُلْتَ: فبمَ يُنصبُ المفعولُ معَه؟ قلتُ: بما يستدعيه « لو» من الفعلِ، لأنَّ التَّقديرَ: لو ثبت أنَّ لهم ما في الأرض57.» أمَّا التَّفتازاني فذهبَ إلى أنَّ العاملَ النَّصبَ في قولِه "ومثلَه" في الآيةِ السَّابقةِ هو فعلٌ تقديرُه حصلَ، لأنَّه لا يَخفى أنَّ "ما في الأرضِ" ليسَ معمولاً للفعلِ ثبتَ كما قال الزَّمخشري، ويؤدّي إلى فسادِ المعنى، فيقولُ: " لا يخفى أنَّ المضافَ، أعني "ما في الأرضِ" ليسَ معمولاً لذلك الفعلِ المحذوفِ ولا متعلّقاً به من جهةِ المعنى، بل بمعنى الحصولِ المستفادِ من الظَّرفِ الواقعِ خبرَ "أنَّ"، أعني حصلَ لهم، ولا يجوزُ أن يُجعَلَ هو العاملَ في المفعولِ مَعَهُ؛ لأنَّه إذا كانَ العاملُ معنىً وجازَ العطفُ مثلَ ما لزيدٍ وعمروٍ بالجرّ، ولا يجوزُ وعمراً بالنَّصبِ"، إذ قامَ بتعليلِ رأيهِ المُتَمَثِّلِ في أنَّ العاملَ في المفعولِ مَعَهُ هو فعلٌ تقديرُه حصلَ ليكونَ عاملاً في المفعولِ معَه والظرفِ، ممثّلاً لذلك بعبارةٍ مصنوعةٍ(ما لزيدٍ وعمروٍ) بالجرّ، مُدلِّلاً على صحَّةِ المعنى بشرحه وتفسيره الآيةَ وفق رأيِه.

وذكر "لأنَّ" في الاحتجاجِ على قولِ الزَّمخشريّ:« ويجوزُ أن تكونَ الواوُ بمعنى مع، أي وما تنقِمونَ منَّا إلا الإيمانَ مع أنّ أكثرَكم فاسقون»58 في تفسيره لقوله تعالى:{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} (المائدة59)، جعل الواو بمعنى مع، فشرَحَ التَّفتازاني ذلك معلِّلاً أنَّه يُكتفى للفعلِ المذكورِ في المفعولِ معَه بالمصاحبةِ والمقارنةِ في الوجودِ، ثم ساقَ حجَّةً مُبرِزاً فيها كلامَ بعضِ النَّحاةِ تخالِفُ ما ذهبَ إليه الزَّمخشري، منهم الزَّجَّاجُ حيثُ قال: « المعنى: هل تكرهونَ منَّا إِلَّا إيمانَنا وفِسْقَكُمْ، أي إنَّما كرهتُم إيمانَنا وأنتم تعلمون أنَّا على حقٍّ لأنَّكم فَسَقْتُمْ، بأنْ أقمتُم على دينِكم لمحبَّتِكم الرّياسةَ، وكسبِكم بها الأموالَ.»، وكذلك السَّمينُ الحلبيُّ الذي قال: "قرأَ الجمهورُ: «أَنَّ» مفتوحةَ الهمزةِ، وقرأَ نعيمُ بنُ ميسرةَ بكسرِها. فأمَّا قراءةُ الجمهورِ فتحتملُ «أنَّ» فيها أنْ تكونَ في محلِّ رفعٍ أو نصبٍ أو جرٍّ، فالرفعُ من وجهٍ واحدٍ وهو أن تكونَ مبتدأً، والخبرُ محذوفٌ. الوجه الثاني من أوجه النَّصبِ: أن يكونَ معطوفاً على "أن آمنَّا" أيضاً، ولكنْ في الكلامِ مضافٌ محذوفٌ لصحةِ المعنى، تقديرُه:

"واعتقادَ أنَّ أكثركم فاسقون"، وهو معنىً واضحٌ، فإنَّ الكفارَ يِنقِمونَ اعتقادَ المؤمنينَ أنَّهم فاسقون، الثَّالثُ: أنَّه منصوبٌ بفعلٍ مقدَّرٍ تقديرُه: هل تنقمونَ منّا إلا إيمانَا. الرَّابعُ: أنَّه منصوبٌ على المعيَّةِ، وتكونُ الواوُ بمعنى مع» «تقديرُه: وما تَنْقِمون منَّا إلا الإيمانَ مع أنَ أكثرَكم فاسقون. والخامسُ: أنَّه منصوبٌ عطفاً على "أنْ آمنَّا" و"أن آمنَّا" مفعولٌ من أجلِه فهو منصوبٌ، فعَطَفَ هذا عليه، والأصلُ: "هل تَنْقِمونَ إلا لأجْلِ إيمانِنا". وابنُ عطيةَ وغيرُهم.59 أمَّا التفتازاني فقد أدلى بدلوِه قائِلاً: « وقد يعودُ المحذورُ وهو أن يكونوا ينقمون كونُهم فاسقين مع شيءٍ آخرَ هو إيمانُنا، نعم يستقيمُ هذا إذا كان بدلُ الواوِ لفظَ مع لِيُجعَلَ ظرفاً في موقعِ الحالِ أي ما ينقمونَ منَّا إلَّا الإيمانَ فقارنَكم بأنفسِكم.»60، ثم يذكُرُ احتمالاً آخرَ مدلِّلاً بالرَّابطِ الحِجاجيّ لأنَّ داعماً رأيَه بإحدى القراءَاتِ القرآنيَّةِ وهي القراءةُ بفتحِ همزةِ أنَّ قائلاً: «ويحتملُ غيرَ هذين الوجهين على بيانِ سببِ النّزولِ وقراءةِ الكسرِ لكونِهما في غايةِ البُعدِ بناءً على عدمِ ظهورِ قرينةِ المحذوفِ مع أنَّ جوازَ حذفِ الخبرِ إذا كانَ المبتدأُ أنَّ المفتوحةَ مع اسمِها وخبرِها محلُّ بحثٍ لأنَّ علَّةَ امتناعِ وقوعِها في أوَّلِ الكلامِ هو الالتباسُ بأنّ التي بمعنى لعلّ قائمةٌ ههنا، ثمَّ ما قُدِّرَ من الخبرِ متأخِّراً عن المبتدأ إنَّما هو لبيانِ المعنى وعلى تقديرِ التَّعبيرِ عن المبتدأ بلفظِ المصدرِ وإلَّا فلا بُدّ أن يُقَدّرَ الخبرُ مقدَّماً أي ثابتٌ معلومٌ أنَّكم فاسقون»610

ساق التفتازاني الرَّابطَ الحجاجيَّ لأنَّ مبرزاً رأيَه، مبرهناً عليه، مخالفاً الزمخشري، إذْ تمثّل بآراءِ النُّحاةِ، وذكر الوجوهَ التي ذهبوا إليها في تفسيرِ وإعرابِ { وأنَّ أكثرَكم فاسقون}.

وفي تفسيرِ قولِه تعالى: { أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } (المائدة 60)، نرى التَّفتازاني موافِقاً الزَّمخشري في أنَّ الكنايةَ أختُ المجازِ، وذلك في قولِه: " جُعِلَتِ الشَّرارةُ للمكانِ وهي لأهلِهِ"62، ولكنَّه زادَ شرحاً وتوضيحاً مستعملاً الرَّابطَ لأنَّ وذلك لإثباتِ الشَّرارةِ لمكانِ الشَّيءِ، وكناية عن إثباتِه، قائِلاً: " لأنَّ التَّمييزَ في المعنى فاعلٌ، وإثباتُ الشَّرارةِ لمكانِ الشَّيءِ وكنايةٌ عن إثباتِه له كما في قولِهم: "سلامٌ على المجلسِ العالي، والمجدُ بينَ بُردَيهِ"، وصفَ الكنايةَ بكونِها أختَ المجازِ لأنَّ المبالغةَ فيه أظهرُ حيثُ أُريدَ اللَّازمُ على القطعِ، ويجوزُ أن يكونَ الإسنادُ مجازيّاً كما في يطؤُهم الطريقُ، وجري النَّهرِ وحقيقةً لا كناية063"

حيثُ ساقَ الرابطَ الحجاجيَّ لأنَّ لزيادة توضيحِ كلامِ الزمخشري وشرحه وتأكيده، مُورِداً مثلاً يدلُّ على صِحَّةِ كلامِه وحقيقةِ رأيِهِ، وهو: على المجلسِ العالي، والمجدُ بينَ بُرديه، مختلِفاً مع الزَّمخشري في تسميةِ النوعِ البلاغيّ في هذه الآيةِ.

وفي قولِه تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى} (المائدة69)، ذهبَ الزمخشريُّ إلى أنَّ وَالصَّابِئُونَ رُفِعَ على الابتداءِ، وخبرُه محذوفٌ، والنِّيَّةُ به التأخيرُ عمَّا في حيّزِ إنَّ

من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنَّصارى حكمُهم كذا، والصَّابئون كذلك، وأورَدَ شاهداً على ذلك قولُ الشاعر64:

وَإلّا فَاعْلمُوا أنَّا وأنْتُمْ **** بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ [الوافر]

يقولُ الزمخشريُّ: أي فاعلموا أنَّا بغاةٌ وأنتم كذلك، فإن قلتَ: هلَّا زعمتَ أنَّ ارتفاعَه للعطفِ على محلِّ إنَّ واسمِها؟ قلتُ: لا يصحُّ ذلك قبل الفراغِ من الخبرِ، لا تقولُ: إنَّ زيداً وعمْراً منطلقان. فإن قلتَ لِمَ لا يصحُّ والنيَّةُ به التأخيرُ، فكأنَّكَ قلتَ: إنّ زيداً منطلقٌ وعمْراً؟ قلتُ: لأني إذا رفعتُه رفعتُه عطفاً على محلِّ إنَّ واسمِها، والعاملُ في محلِّهما هو الابتداءُ، فيجبُ أن يكونَ هو العامِلَ في الخبرِ لأنَّ الابتداءَ ينتظمُ الجزأين في عملِه كما تنتظمها «إنَّ» في عملِها، فلو رفعتَ الصَّابئون المنويَّ به التأخير بالابتداءِ وقد رفعتَ الخبرَ بـ أنّ، لأَعمَلتَ فيهما رافعين مختلفين. فإن قلتَ: فقولُه والصَّابئون معطوفٌ لا بُدَّ له من معطوفٍ عليه، فما هو؟ قلتُ: هو مع خبرِه المحذوفِ جملةٌ معطوفةٌ على جملةِ قولِه: (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) الخ، ولا محلَّ لها، كما لا محلَّ للتي عُطِفَت عليها، فإن قلتَ: ما التَّقديمُ والتأخيرُ إلا لفائدةٍ، فما فائدةُ هذا التَّقديمِ؟ قلتُ: فائدتُه التنبيهُ على أنَّ الصابئينَ يُتابُ عليهم إن صحَّ منهم الإيمانُ والعملُ الصَّالحُ، فما الظَّنُّ بغيرِهم. وذلك أنَّ الصَّابئين أبينُ هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدُّهم غيّاً، وما سُمُّوا صابئين إلا لأنَّهم صبؤوا عن الأديانِ كلِّها، أي خرجُوا، كما أنَّ الشَّاعرَ قدَّمَ قولَه «وأنتم» تنبيها على أنَّ المخاطَبين أوغَلُ في الوصفِ بالبُغاةِ من قومِه، حيثُ عاجَلَ به قبلَ الخبرِ الذي هو «بغاةٌ» لِئَلَّا يدخلُ قومُه في البغيِ قبلَهم، مع كونِهم أوغلُ فيه منهم، وأثبتُ قدماً. فإن قلتَ: فلو قيلَ والصَّابئين وإياكُم لكانَ التَّقديمُ حاصلاً. قلتُ: لو قيلَ هكذا لم يكنْ منَ التَّقديمِ في شيءٍ، لأنَّه لا إزالةَ فيه عن موضعِه، وإنَّما يُقالُ مقدّمٌ ومؤخَّرٌ للمُزالِ لا للقارِّ في مكانِه.

ناقشَ التفتازانيُّ الزمخشريَّ في هذه المسألةِ، وافقَه في رأيِه في الآيةِ، وحاجَّهُ في البيتِ، حيثُ أثبتَ أنَّ النَّفيَ للمخاطَبينَ، وأنَّ حقيقةَ الاعتراضِ لتحقُّقِ العطفِ، قائِلاً: " إنَّما يشترطُ الفراغُ من الخبرِ لفظاً كما في "إنّ زيداً قائمٌ وعمرواً، أو تقديراً نحوَ إنّ زيداً وعمرواً قائمٌ فَلِمَ لا يحملُ الآيةَ على هذا بأنْ يَجعلَ "من آمن منهم" إلخ خبراً من "إنّ الّذين آمنوا والذين هادوا" فقط، فيكونُ من قبيلِ إنَّ زيداً وعمرو قائم لا عن المجموعِ ليكونَ مثلَ إنّ زيداً وعَمْراً قائمان فأجاب بأنَّه لا يصح لاستلزامه اختلافَ العاملِ في المبتدأ والخبرِ حيثُ كانَ العاملُ في الصَّابئون هو الابتداءُ من جهةِ كونِه عطفاً على محلِّ إنّ مع اسمِها، وفي الخبرِ هو إنّ قطعاً ولو جَعلْتَ الخبرَ مرفوعاً بـ إنّ وبالابتداءِ جميعاً لَزِمَ اجتماعُ العاملين على معمولٍ واحدٍ، وفيه نظرٌ لأنَّه إنَّما يلزمُ ذلك لو كانَ المذكورُ خبراً عنهُما ليصيرَ مثلُ إنّ زيداً وعمرواً قائمان، وأمّا على نيّة التّأخيرِ واعتبارِ مُضِيِّ الخبرِ تقديراً فيكونُ المذكورُ معمولَ إنّ فقط، وخبرُ المعطوفِ محذوفٌ كما في إنّ زيداً قائمٌ وعمرواً عطفاً

على محلِّ إنَّ مع اسمِها، وبالجملةِ ما ذُكِرَ لو ثَمَّ يجري في جميعِ صورِ مضيِّ الخبرِ تقديراً، والقولُ بأنَّه بنى ذلك على ما ذكر من فائدةِ التّقديمِ لا يكونُ دفعاً لهذا الاعتراضِ، وقد يُجاب بأنَّ مَن آمنَ منهم صالحٌ بخبريةِ المجموعِ، والأصلُ عدمُ التَّقديرِ، فلو ارتفعَ الصَّابئونَ بالعطفِ على المحلِّ لزمَ المحذور فتعيَّنَ الرفعُ على الابتداءِ ولزمَ تقديمُ الخبرِ وفيه التأخيرُ، وهو معارضٌ بأنَّ الصابئون صالحُ العطفِ على المحلِّ بتقديرِ الخبرِ ونيّةِ التَّأخيرِ كما لزِمَكُم فيُحمَلُ عليه من غيرِ لزومِ محذورٍ والحقُّ أنَّه يحتملُ الوجهينِ والبيانُ في التَّرجيحِ، وكذا إذا أخّرَ مثلَ إنّ زيداً قائمٌ وعمرواً ويحتملُ العطفَ على المحلِّ فيكونُ من عطفِ المفرداتِ، وإن يرتفعْ بالابتداءِ فيكونُ من عطفِ الجملِ65.

حيثُ استعملَ الرابطَ الحجاجيَّ لأنَّ في مخالفةِ الزَّمخشريِّ في إثباتِ النَّفي للمخاطَبين مع كونِهم بادينَ في الخيانةِ واغلينَ في الشَّرِّ، وأنَّ ضمَّ المؤمنين إلى الكَّفرَةِ في هذا المعنى إخلالٌ بتكريمِهم، وحطٌّ من قدرِهم، فكانتِ النُّكتةُ في تقديم (والصابئون).

وفي تفسيرِ قولِه تعالى: { وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ } (المائدة 71)، قال الزمخشري إنَّ لا تكون بقراءةِ النَّصبِ منصوبةٌ على الظَّاهرِ، وقراءةِ الرَّفعِ تكونُ "أنَّ" مخففةً من الثَّقيلةِ، أصلُه(أنَّه لا تكونُ فتنةً) فخُفِّفَت "أنَّ" وضميرُ الشَّأنِ محذوفٌ، معلِّلَا وشارحاً كيفيةَ دخولِ فعلِ الحسبانِ على أن المخفَّفَةِ التي تفيدُ التَّحقيقَ، ومجيباً عن سؤالِ: أين مفعولا حسِبَ؟ يقولُ: « فإنْ قلتَ كيفَ دخلَ فعلُ الحسبانِ على أنَّ التي للتَّحقيقِ؟ قلتُ: نزلَ حسبانُهم لقوَّتِه في صدورِهم منزلةَ العلمِ. فإنْ قلتَ: فأينَ مفعولا حَسِبَ؟ قلتُ: سدَّ ما يشتملُ عليه صلةُ أن وأنَّ من المسندِ والمسندِ إليه مسدَّ المفعولين، والمعنى: وحَسِبَ بنو إسرائيلَ أنَّه لا يصيبُهم من اللهِ فتنةٌ.66

وقد وافقَ الطيبي رأيَ الزمخشري في احتمالِ هذين الوجهين، مُدلِياً بدلوِهِ على الاعتبارِ بالقراءَتين، فيقولُ: « اعلَمْ أنَّ الفعلَ الواقعَ قبلَ "أن" لا يخلو من أنَّه لا يحتملُ سوى الشَّكِّ، نحوَ: طمعتُ أن تقومَ، فلا يجوزُ في مدخولِها إلَّا النَّصبُ لأنْ المخفَّفَةِ من الثقيلةِ للتحقيقِ، والتحقيقُ ينافي الشَّكَّ، أو أنَّه لا يحتملُ سوى اليقينِ فلا تكونُ ناصبةً بل مخفَّفةً، كقولِه تعالى: { عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى } (المزمل 20)، أو احتملَ الوجهينِ كما في هذه الآيةِ، فيجوزُ فيه الأمرانِ.67

أمَّا التَّفتازاني فقد كان له رأيٌ مخالفٌ إلى حدٍّ ما، وقد اعتمدَ أسلوباً حِجاجيَّاً مستعملاً الرَّابطَ الحِجاجيَّ لأنَّ في إثباتِ صِحَّةِ ما يذهبُ إليه، حيثُ يرى أنَّ فعلَ الحسبانِ ليسَ للتحقيقِ، والفعلُ الداخلُ على أن المخففة من الثَّقيلةِ يجبُ أن يُشاكِلَها في التَّحقيقِ، والحسبانُ ليس كذلك، فيقولُ: « لأنَّ فعلَ الحسبانَ ليس للتحقيقِ، فلا يكونُ الواقعُ بعد أن المخفَّفةِ، لأنَّ الفعلَ الدَّاخَل على أن المفتوحةِ مخففةً كانت أو مثقلةً يجبُ أن يشاكلها في التَّحقيقِ، والحسبانُ ليس كذلك، فلا يكونُ الواقعُ بعدَ أن المخففةِ إلا إذا نزلَ لقربِهِ منزلةَ العلمِ.68

حيثُ نرى أنَّ التَّفتازاني نفى أن تكونَ أن هنا مخففةً من الثقيلةِ لأنَّ فعلَ الحسبانِ لا يدخلُ عليها، مثبِتاً رأيَه في استعمالِ الرَّابطِ الحجاجي لأنَّ في تعقيبِهِ على كلامِ الزمخشري الذي فسَّرَ تفسيرَه مُعتمداً على إحدى القراءاتِ.

2- خاتمة:

بعدَ أخذِ مقتطفاتٍ من ردودِ التَّفتازانيِّ الحِجاجيَّةِ على (الكشَّافِ) في سورةِ (المائدة) تبيَّنَ لنا النَّتائج الآتية:

قامت لأنّ بوظيفتِها كعاملٍ حجاجيٍّ، فربطت بينَ النتيجةِ المتمثِّلةِ في أنَّ الحدَّ لا ينبغي أن يحدثَ فيه اختلافٌ، وهذا الاختلافُ يكونُ من قبيلِ التضَّادِّ والتَّنافرِ، والحجةِ، مفادُها أنَّ ذلك يؤدي إلى فسادِ الشيءِ المرادِ حدُّه، وكذلك رأيُ صاحبِ ذلك الحدِّ.

نلاحظُ أنَّ التفتازاني كان مناقشاً مجادلاً محاجَّاً من الدَّرجةِ الرفيعةِ، حيثُ استعملَ العديدَ من الروابطِ الحِجاجيةِ ليسوقَ أدلَّته، ويثبتَ حجتَه وصحةَ رأيهِ، وقد اخترنا الرَّابطَ لأنَّ أنموذجاً لأنَه الأبرزُ والأدقُّ في إثباتِ ذلك، ودليلٌ واضحٌ عليه، حيث كان يلجأُ إلى زيادةِ برهانِهِ باللّجوءِ إلى تفسيرِ الآيةِ بالآيةِ، وسَوْقِ الدَّليلِ الشِّعري، والدَّليلِ النَّحوي، والدَّليل اللُّغويِّ المعجمي، موافقاً بعضَ آراءِ الزمخشري ومَن اشتغلوا بالكشافِ، كأبي حيَّانَ، والسَّمينِ الحلبيِّ، ومخالفاً آراءَهم أحياناً أخرى.

مراجع البحث وإحالاته:

1- السَّدَفُ والسُّدفة: الظُّلْمة والضَّوء أَيْضا. العين، السين والدال والفاء، سدف، وتهذيب اللغة، باب السين والدال، سدف، والصحاح، سدف، ومقاييس اللغة، سدف.

2- الحاشية [6 / ب].

3- الحاشية [6 / ب].

4- مهيع: طريق بين المنافذ. العين، باب العين والهاء والياء، هيع، وتهذيب اللغة، باب العين والهاء، هيع، ولسان العرب، هيع، وتاج العروس، هوع.

5- الحاشية [6 / ب].

6- إنباه الرواة على أنباه النحاة، 266/3، ووفيات الأعيان، 168/5، وسير أعلام النبلاء، 151/20، والأنساب، 315/6، والأعلام، 178/7.

7- شذرات الذهب، 195/6.

8- ربيع الأبرار، 15/1، والأعلام، 178/7.

9- شذرات الذهب، 195/6.

10- المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

11- شذرات الذهب، 195/6، ودائرة المعارف الإسلامية، 5327/17، وهدية العارفين، 403/2.

12- ربيع الأبرار، 15/1، وكشف الظنون، 1778/2، والأعلام، 178/7، وهدية العارفين، 403/2.

13- ربيع الأبرار، 14/1، ودائرة المعارف الإسلامية، 5328/17، وكشف الظنون، 81/1، وهدية العارفين، 402/2.

14- ربيع الأبرار، 14/1، وكشف الظنون، 81/1، وهدية العارفين، 2، 402.

15- ربيع الأبرار، 13/1، ودائرة المعارف، 5326/17، وكشف الظنون، 1/1، وشذرات الذهب، 195/6، وهدية العارفين، 402/2.

16- وفيات الأعيان، 168/5.

17- الدرر الكامنة، 112/6.

18- الأنساب، 61/3، والأعلام، 219/7.

19- شذرات الذهب، 319/6، والبدر الطالع، 303/2، والفوائد البهية، ص 50.

20- هدية العارفين، ص: 429.

21- الفوائد البهية، ص: 49، ودائرة المعارف الإسلامية، 341/5.

22- كشف الظنون، ص: 1478.

23- كشف الظنون، ص: 1478، وهدية العارفين، 429/2، ودائرة المعارف الإسلامية، 345/5.

24- كشف الظنون، ص: 1036، وهدية العارفين، 429/2، والأعلام، 113/8.

25- كشف الظنون، ص: 474، وشذرات الذهب، 319/6، والبدر الطالع، 303/2.

26- المراجع السابقة نفسها.

27- كشف الظنون، ص: 1763، وشذرات الذهب، 313/6، والبدر الطالع، 303/2.

28- شذرات الذهب، 319/6، والبدر الطالع، 304/2.

29- البدر الطالع، 303/2.

30- العين، ح ج ج.

31- تهذيب اللغة، باب الحاء والجيم، (حجَّ)، 251/3.

32- مقاييس اللغة، باب الحاء والجيم، (حج).

33- أساس البلاغة، ح ج ج .

34- لسان العرب، مادة (ح ج ج).

35- الكليات، ص 406.

36- التداولية والحجاج (مدخل ونصوص)، ص 21.

37- الحجاج في الخطبة النبوية، ص 286.

38- اللغة والحجاج، ص 16.

39- اللسان والميزان، ص 213.

40- اللسان والميزان، ص 262.

41- اللسان والميزان، ص : 255.

42- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

43- المرجع نفسه، ص 256.

44- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

45- إستراتيجية الخطاب، مقاربة تداولية، ص : 47

46- آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، ص : 173

47- المرجع نفسه، ص: 173

48- اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، ص : 272

49- آليات تشكل الخطاب الحجاجي، ص: 173

50- إستراتيجيات الخطاب، ص477.

51- الكشاف، 626/1.

52- ليلة ليلاء أي شديدة الظلمة. العين، ليل، وتهذيب اللغة، باب اللام والميم، 318/15، ولسان العرب، ليل، والمعجم الوسيط، ليل.

53- الحاشية، التفتازاني، [270/ أ].

54- أبو زبيد الطائي: ? - 41 هـ / ? - 661 م

حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة يتصل نسبه بـ يعرب بن قحطان. شاعر جاهلي من قبيلة طيِّء في اليمن، وهو من المعمَّرين ويروى أنه عاش مائة وخمسين عاماً وأدرك الإسلام وأسلم واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه بني طيِّء وفي بعض الروايات أنه بقي على النصرانية ولم يعتنق الإسلام بينما تقول روايات أخرى إنَّه أسلم على يد صديقه الحميم الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

وكان قد رثى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب.

ورافق الوليد في اعتزاله علياً ومعاوية فأقام معه نديماً في الرقة ثم توفي بعده بقليل ودفن إلى جانبه هناك.

الوافي بالوفيات، 258/11، والإصابة في تمييز الصحابة، 136/7، ومعجم الشعراء العرب، 379/1.

55- الديوان ص28.

56- الكشاف، 629/1.

57- الكشاف، 629/1.

58- الكشاف، 650/1.

59- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 186/2، والتفسير الوسيط للواحدي، 203/2، والمحرر الوجيز، 210/2، والدر المصون، 319/4.

60- حاشية التفتازاني [296 / أ].

61- حاشية التفتازاني [296 / أ].

62- الكشاف، 653/1.

63- الحاشية [276/ ب]

64- البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي، وهو في ديوانه، ص 165.

و البيت في الديوان:

وَإلّا فَاعْلمُوا أنَّا وأنْتُمْ **** بُغَاةٌ مَاحيينا فِي شِقَاقِ

وقبله:

إذا جزت نواصي آل بدر **** فأدوها وأسرى في الوثاق

65- الحاشية [278/ ب].

66- الكشاف، 663/1.

67- فتوح الغيب، 440/5.

68- الحاشية، [279/ب].

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1. أساس البلاغة، الزمخشري، دار صادر، ط 1، بيروت، 1979م.
2. إستراتيجية الخطاب، مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري.
3. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15 - أيار / مايو 2002 م.
4. آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، هاجر مدقن، مجلة الأثر، الجزائر، ع5، 2005م.
5. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1424هـ
6. الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره.

7. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، دار المعرفة – بيروت.

8. التداولية والحجاج(مدخل ونصوص)، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، ط 1، 2008م.

9. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.

10. حاشية التفتازاني، السعد التفتازاني .

11. الحجاج في الخطبة النبوية، جمعان عبد الكريم الغامدي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد10، ماي 2013.

12. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م.

13. ديوان أبي زبيد الطائي، حرملة بن المنذر، جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف – بغداد1967م.

14. ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق الدكتور عِزَّة حسن، دمشق، 1379هـ، 1960م، وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الإقليم السوري، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم.

15. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 1412 هـ

16. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م.

17. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1406 هـ - 1986 م.

18. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

19. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434 هـ - 2013م

20. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، عني بتصحيحه محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد إسماعيل، الطبعة: الأولى، 1324 هـ

21. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3- 1407 هـ

22. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، مكتبة المثنى - بغداد .

23. الكليات، الكفوي، (ت: 1094هـ)، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

24. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر – بيروت، ط3 - 1414 هـ

25. اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1998م.

26. اللغة والحجاج، أبو بكر الغزاوي، الدار البيضاء، ط 1، 1426هـ، 2006م.

27. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ

28. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988 م.

29. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1382 هـ - 1962 م.

30. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

31. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

32. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1415 هـ - 1994 م.

33. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط 1، 1994.